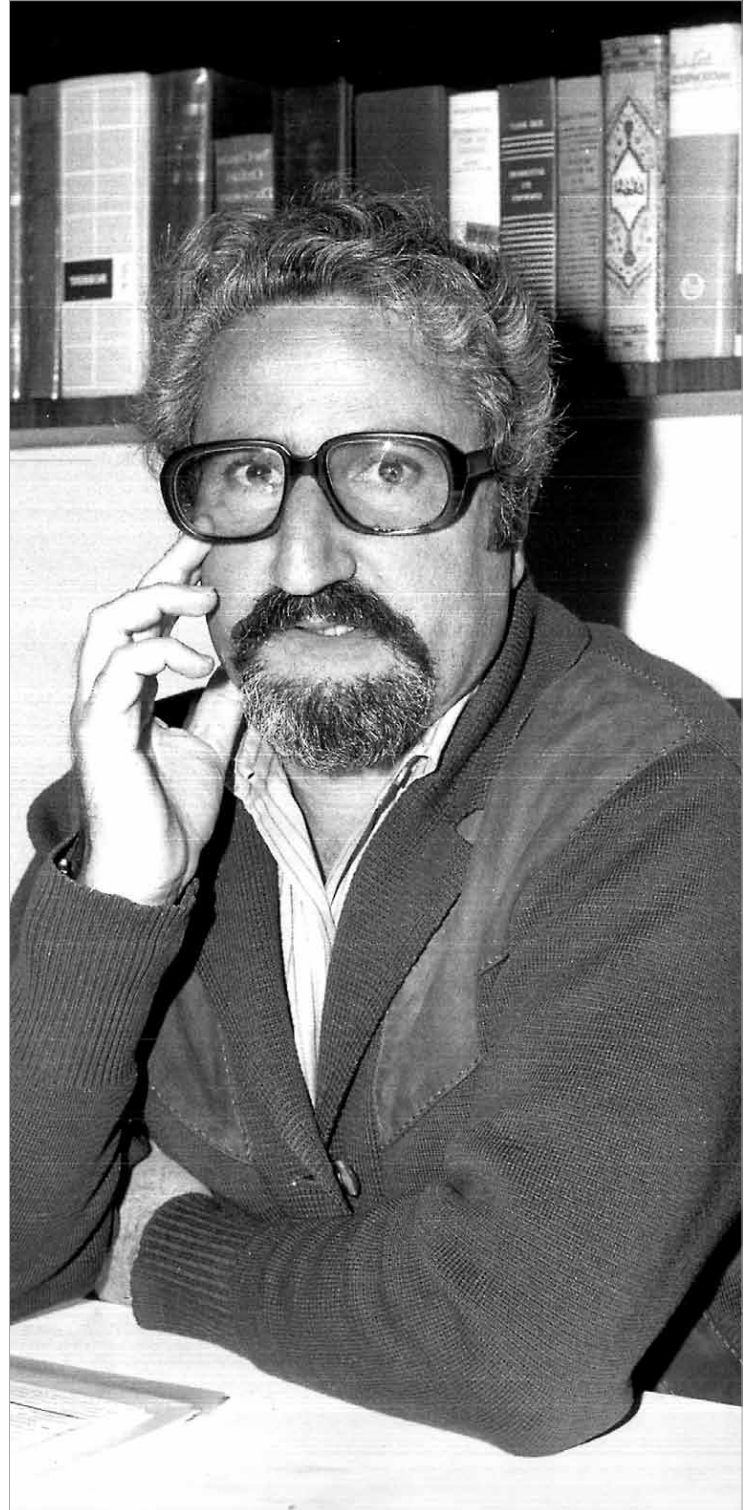


لك أيها البروفسور منير شمعون في النفوس والجامعات منازل

كتب الباحث البروفسور أنطوان رومانوس، أستاذ علم النفس في جامعة القديس يوسف، بيروت، هذه الكلمة المؤثرة في أستاذه وصديقه البروفسور الراحل منير شمعون الذي توفي قبل وقت قصير، تاركاً وراءه سجلاً طليعياً حافلاً في الأستذة الجامعية وفي ميدان علم النفس والعلاج النفسي.



أنطوان رومانوس

"قفوا نبيك من ذكرى حبيب ومنزل...". يطيب لي أن استحضّر امرأ القيس للتذكير ببيتته الشهير في مطلع معلقته وقد حوّته قليلاً للمناسبة وإن انكسر، بتحويري، وزن البيت. فأنا أيضاً أريد أن أقف واستوقفكم وأبكي وأستبكيكم لذكرى غياب علم من أعلام فرع علم النفس في جامعة القديس يوسف، لا بل علم من أعلام علم النفس والعلاج النفسي وواحد من أقدم ممارسيه في لبنان وحتى في الدول العربية قاطبة.

منير شمعون هو فعلاً من الأحياء الذين يصعب فقدانهم على عرفوهم. خفيض الصوت على ثقة، محدث لبق لا بل ساحر لديه كاريزما خاصة به. لا يشبه أحدًا غير نفسه، يعرف كيف يلتقط جمهوره فيشده إلى درر تنساب ملونة ومتناسقة مرصعة ببعض النهفات التي تريح الفكر فيستفيد بصورة أفضل وأعمق، مثقف فد بالمعنى الأصيل للكلمة، قارئ نهم ومطلع على أحدث ما في علم النفس يغذي به طلابه، عامل بدون كلل على الدراسة والتأليف والتنظيم والإدارة والريادة والتعليم نحو ثماني عشرة ساعة في اليوم. أت حنون، وجدّ أكثر حناناً، أخ مقرب وصديق مؤتمن، طيب القلب، دمث الأخلاق، حسن المعشر، يحسن الإستماع كما يحسن صياغة الموقف. غير مؤدلج وغير دوغماتي، يعتمد المقاربة النقدية والعلمية والموضوعية في نظرتة وأحكامه. ترك شيئاً منه في كل واحد منا بدون أن يستطيع أي منا أن يجاريه أو يقارب منزلته. ولمن لا يعرف، فقد عرضنا عليه مراراً وتكراراً في الفرع أن نكرمه ونشكره على عطائه وتفديماته للهيئة وللفرع بالذات لكنه رفض بإباء يغلغه تواضع رقيق معتبراً أن ما فعله لم يتعدّ الواجب بل بقي مقصراً عنه.

إلى جانب منزلته في القلوب في ما ذهبت إليه، للبروفسور منير شمعون "منزلة" أخرى موازية تكمن في موقعه السامي بين نظرائه في لبنان والغالبية الساحقة منهم من

تلاميذه الذين نهلوا من ينبوعه المعرفي الغزير وأفادوا من سعة اطلاعه الموسوعي وفكره النقي النير الزلال. مع قلة آخرين، يعدون تقريباً على أصابع اليد الواحدة، كان منير شمعون من أوائل الذين سلخوا درب التأهل في علم النفس والعمل في العلاج النفسي عامة في عياداته كما في بعض المدارس والمؤسسات التربوية أو التأهيلية أو الدينية وما إليها، قبل أن يستقر في مهماته الجامعية وفي العلاج التحليلي، مفضلاً قصر نشاطه المهني عليهما.



هو من أوائل الذين

سلخوا درب التأهل في

علم النفس والعمل في

العلاج النفسي في عياداته

كما في بعض المدارس

والمؤسسات، قبل

أن يستقر في مهماته

الجامعية وفي العلاج

التحليلي، مفضلاً قصر

نشاطه المهني عليهما

بإشر تعليم الفلسفة وعلم النفس في بداية الستينات في مدرسة الحكمة لكنه لم يستمر في تعليم الصفوف الثانوية إذ ناداه التعليم الجامعي فانتقل سريعاً إلى معهد الآداب العليا حيث أسس فرع علم النفس فيه وزوّده أفضل البرامج وأفضل المدرسين اللبنانيين كما الأجانب بالتعاون الوثيق مع رئيس المعهد وصديقه المقرب البروفسور الأب اليسوعي سليم عيو، أطال الله عمره.

ولما قضت الحرب اللبنانية التي استعرت في منتصف السبعينات من القرن الماضي فقطعت أوصال الوطن، بأن أجبرت البعثة الثقافية الفرنسية على التخلي عن مدرسة الآداب العليا، انتقل الصديقان

إياهما إلى جامعة القديس يوسف فأسسا، في العام 1977، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ومن ضمنها فرع علم النفس الحالي فتمسك البروفسور الأب عيو عمادتها وتسلم البروفسور شمعون رئاسة فرع علم النفس فيها لنحو 20 سنة. مع ارتقاء الأب عيو إلى رئاسة الجامعة، عين البروفسور شمعون واحداً من نوابه وأنط به مهمة إنشاء مجلس البحوث وإدارته. كما عهد إليه مهمة إنشاء "الجامعة المفتوحة" وتنظيمها وإدارتها، وهي كناية عن دروس عامة متنوعة ترتبط بعدد كبير من فروع الآداب واللغات والفنون والفلسفة والعلوم الإنسانية، موجهاً لغير المتخصصين، يلقيها علماء ومخضرمون يمكنهم تحويل مخزونهم المعرفي الشديد التخصص ليتناسب مع مستوى جمهور عريض متعطش للثقافة.

نجح منير شمعون نجاحاً باهراً في جميع تلك المهمات. نجح كمعلم بشهادة مئات الطلاب الذين تتلمذوا على يده، ونجح كباحث ومنظم وإداري في الفرع الذي أداره والذي يحفظ له أسمى آيات الشكر على المكانة الفريدة التي أوصله إليها. نجح أيضاً في إنشاء وإدارة مجلس البحوث والجامعة المفتوحة" وكلامه لا يزالان شاهدين حيين على البصمة البهية التي تركها في كلا الصرحين.

أخيراً وليس آخراً، بالنسبة إلى كان منير شمعون المعلم الذي استطاع الإفادة من معارفه، المربي الذي عرف كيف يستمع ويرافق، المستشار الناصح الذي عرف كيف يهدي أفضل التوصيات، الزميل الذي عرف كيف يتحول فيقبل المتساوي، المرجع الذي برّ جميع المراجع الأخرى، الصديق الدائم الحضور الذي استطاع خضض منسوب القلق والهموم، وإزاحة الشكوك، وتصحيح المسارات.

عزيزي منير، صدقاً، لا يموت من كانت تلك مزاياهم ومن تركوا لنا بصمات محفورة لا تمحى ولا تزول. هم أحياء في القلب والتفكير والذاكرة. نم قري العين يا معلّم وصديقي، على أمل اللقاء القريب.